محمد إبراهيم عبابنة

محمد إبراهيم عبابنة
ababneh5@yahoo.com

مصادر المياه
عند قدماء بدو شمال الجزيرة العربيّة
(البادية الأردنيّة)

مقدمة

تمتاز منطقة شمال الجزيرة العربيّة بتنوعها الجغرافي، حيث شكلت الحرَات والقيعان والأودية والتلال طوبغرافيّة المنطقة، وتخللتها واحات كالأزرق والجوف وتيماء وتدمر. تعد الأودية كوادي راجل ووادي الشام ووادي حوران من أشهر المناطق ارتيادًا عند البدو، وكذلك وادي السرحان الذي يُعدُّ من أهم المعابر في ارتحال البدو وعبور القوافل بين شمال ووسط الجزيرة العربيّة؛ وذلك لوفرة المياه فيه، انظر الصورة الجوية للمنطقة (**شكل 1**) وهنالك العديد من الدراسات العلميّة المتخصصة عن جغرافيّة المنطقة مثل: (Edgell 2006. Arabian Deserts, Nature, Origin and Evolution).

تُشير الدراسات الأثرية إلى الاستيطان البشري في منطقة البادية الأردنيّة منذ عصور ما قبل التاريخ والقائم على حياة الصيّد والرّعي كأحد أهم الأنشطة الاقتصاديّة التي مارسها البدوي والمعتمدة على الحلّ والترحال. وقد تَناولتْ بعض الدراسات التي تمت من خلال المسوحات والحفريّات الأثريّة في أماكن استيطان في المنطقة مصادر المياه، مثل: (Kennedy 1995. Water Supply and Use in the Southern Hauran, Jordan).

(Gebel 2017. The Origins of Oasis Life in NW Arabia. A Model Based on the Qulban Beni Murra and Rajajil Case Study Regions, and the Need of Archaeohydrology as a Discipline for Studying Arabia's Past).

كذلك تُذكَر في هذا الشأن أعمال وأبحاث (Gary Rollefson) وفريقه في كثير من المسوحات والحفريّات في البادية الأردنيّة مثل: منطقة الوساد، انظر مثلًا:

(Rollefson 2022. Standing stones and megalithic architecture at Wisad Pools (in Jordan›s Black Desert).

الماء أحد أهم مقومات حياة البداوة القائمة على تتبع مساقط المطر طلبًا للرّعي ومصادر المياه. فالمطر هو العامل الأول في حركة تَبدّي القبائل البدويّة وترك أماكن مقيظهم، فهم بحاجة دائمًا للماء أيًا كانت نوعيته؛ العذب منه أو المالح فالإبل تشرب الماء المالح. تنتشر في البوادي العربيّة في شمال الجزيرة العربيّة والشام الغدران والبحيرات والآبار والعيون والبرك. إذ شكّلت هذه المصادر محطات في حل وترحال البدو، وكانوا لا يوغلون في تنقلهم إلاّ إذا

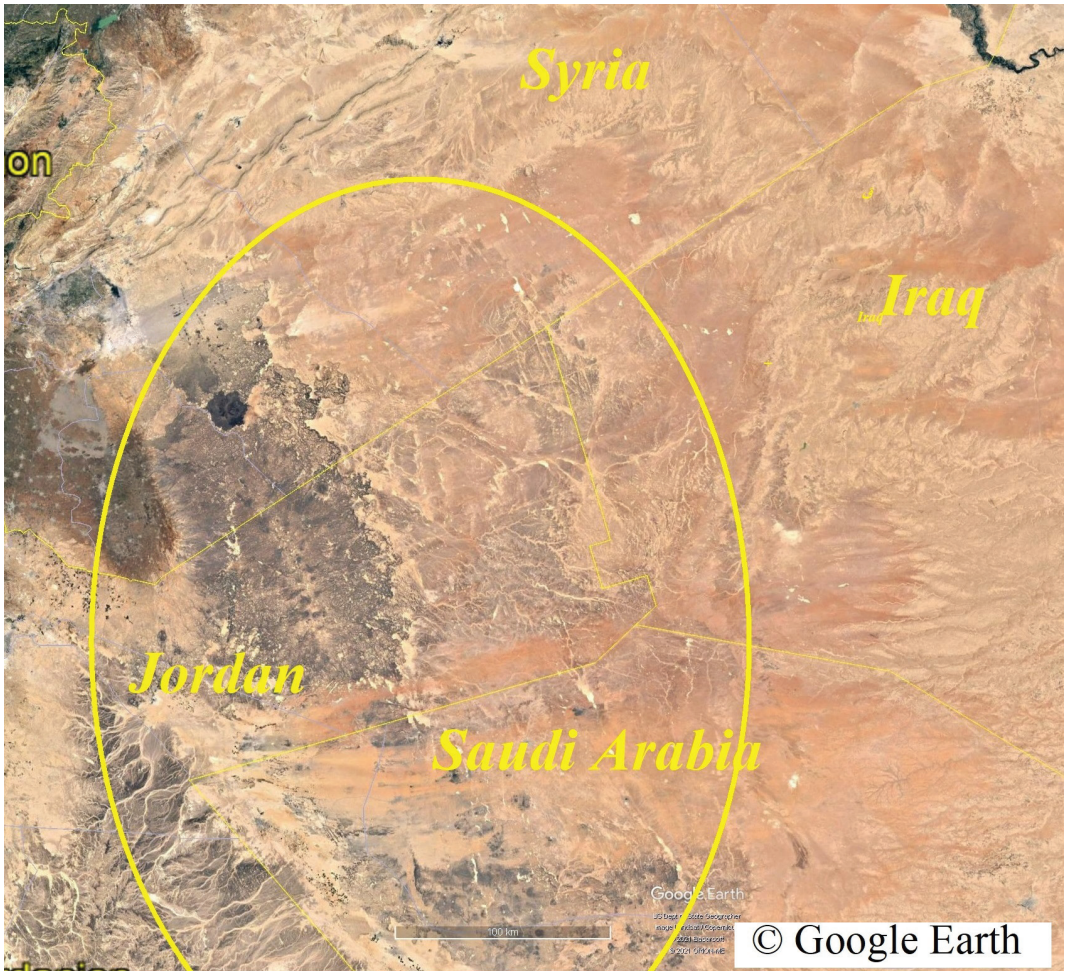

1. صورة جويّة لمنطقة شمال الجزيرة العربيّة.

قَدّروا فترة مسيرهم؛ للوصول لمصدر مياه معروف لكي ينزلوا عنده، ويتزودوا منه بالمياه، فهم أعرف الناس بمسالك مناطقهم وأبرز المعالم الدّالة على مصادر المياه وأقصر الطرق للوصول إليها، ومعرفتهم في أوقات نضوبها ومدة تخزينها، حيث لا يمكثون في منطقة لوقت أطول إذا تناقصت المياه فيها، وكذلك مَهروا في طرق استنباط الماء، ومعرفة الظواهر الفلكيّة والأنواء الدالة على المطر، وقد بقيت هذه المعرفة والدربة صفة للبدو متوارثة بينهم عبر العصور.

امتاز البدو الرُّحل في شمال الجزيرة العربيّة (الصفويون) في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والثاني الميلادي تقريبًا بتأمين مصادر المياه الطبيعيّة المتشكلة في المنخفضات والقيعان من مياه الأمطار والسيول، وكذلك الإنشائيّة مثل: الآبار والحفر التجميعيّة (المشتركة والخاصة) لإدامة استغلالها في فترات تَبدّيهم وانتجاعهم، وكذلك في أوقات مقيظهم بعد جفاف المراعي ونَشّ ونضوب مياه الغدران والبرك، وهذا جَليٌّ في محتوى مجموعة من "النقوش الصفويّة" التي ذكر كاتبوها الماء وورودهم إليه أو صدورهم عنه أو رعيّهم في المناطق التي فيها مياه، كما جاء في النقوش طلبهم من الآلهة المطر وخاصة الإله بعل سمين، وذكر بعض كاتبي النقوش عطشهم عند مصدر المياه؛ مما يدل على الجفاف، وقلة المياه ونضوبها.

ذكر مصادر المياه في النقوش الصفويّة

من الجدير ذكره أنّه لم يرد ذِكرٌ في النقوش لنزاعات بين أفراد أو جماعات حصلت بسبب المياه، على حد علمي. هذا يشير إلى حسن تدبير ووعي أفراد هذه القبائل البدويّة على إدارة واستغلال مصادر المياه بشكل ربما كان متفقًا بينهم أي أنّ كل قبيلة لها مراعيها ومياهها ضمن حدود طبيعيّة متعارف عليها بينهم، هذا هو الظاهر من محتوى النقوش، وهكذا هو الحال في الموروث البدوي في المنطقة؛ فمثلًا من حياة البدو الرّحل آل مرّة في القرن الماضي حيث كانوا يملكون 20 بئرًا رئيسة في المنطقة الشرقيّة من الربع الخالي تفصل بينها مسافات بين 50 إلى 100 ميل، كما كانوا يمتلكون عددًا مماثلًا في المناطق الشماليّة التابعة لهم (طالب 2020: 45). يبقى البحث في مسألة إدارة وامتلاك المياه عند قدماء البدو (الصفويين) قائمًا في ظل اكتشافات نقوش جديدة ربما تتضمن معلومات لا تتوفر حاليًا شواهد لإثباتها أو نفيها.

لقد وردت مجموعة من الألفاظ في النقوش تدل على المياه، حيث وردت بلفظ (م ه) "ماه" والتي تُعد من الألفاظ الأصيلة في اللغة العربية من الجذر (م و ه)، وبلفظ (م ا) "ماء" وكذلك بلفظ (م ي) "مي"، انظر (Ababneh 2016: 217) وانظر مجموعة "النقوش الصفويّة" (OCIANA) وكذلك معجم "النقوش الصفويّة" (Al-Jallad and Jaworska 2019. A Dictionary of the Safaitic Inscriptions)

أمّا في سياقات النقوش فإنّ احتواءها على الفعل (و ر د) هو المفتاح الأولي والأكثر شيوعًا في فهم النقش وتحليل معناه، حيث يكون ما بعد الفعل مصطلحًا يدل على مصدر مياه أو مكان فيه مياه أو اسم يدل على الحيوانات الواردة على المياه. كذلك تضمنت النقوش الفعل (ص ي ر) أي عاد وغالبًا العودة من مصدر المياه، أو أحيانًا الفعل (ر ع ي) "رعى" حيث رعى كاتب النقش بالمكان الذي فيه مياه، لقد جاءت الشواهد النقشيّة بمجموعة من المصطلحات الدّالة على مصادر المياه، وتجدر الإشارة بداية إلى أنّ مجموعة "النقوش الصفويّة" المنشورة التي تحوي شواهد الألفاظ الآتية والتي ارتأى بعض ناشريها تفسير بعضها بشكل مختلف عمّا ذَهَبْتُ إليه في حينه بدراسة منشورة عن المياه (Ababneh 2016: 218 ff.) فهي رؤيتهم وفهمهم لها بكل احترام.

- الوُرود إلى مصادر مياه معروفة عند كاتبي النقوش مثل: (ن ق ع ت)، (ن ه ي)، (خ د د)، (ا ض ي ت)، (س ر ي)، (ح س ي)، (س ي ح)، (ط ب ع)، (ا خ ذ ت)، (ن ب ط)، (ع ن). فهذه أسماء دالة على مصادر مياه طبيعيّة ومنها ما هو انشائي. وتشير جميع الشواهد إلى الورود أو الصدور (الرجوع) من هذه المصادر المائيّة.
- الوُرود إلى أماكن فيها مصادر مياه. تدل سياقات الشواهد المقترنة بالفعل (و ر د) على ألفاظ لا تحمل معنى الماء بل أسماء أمكنة ومواضع معروفة مثل: (ن م ر ت) النمارة، من الملاحظ وُرود الكثير من البدو الصفويين إلى منطقة النمارة التي تُعد من أهم الأماكن التي فيها مياه. (ب ر ك ت) بريكة، اسم منطقة تقع تقريبًا 40 كم شمالي بصرى، وفيها مصادر مياه. (غ د ف) اسم وادٍ يقع على بعد 35 كم جنوب الأزرق حيث يُعدُّ من أحد فروع وادي السرحان في البادية الأردنيّة، ويصب في واحة الأزرق. وكذلك أسماء أماكن غير محددة أو معروفة مثل: (ف ن ي ت) ،(ت ب ط)، (ع ن ف)، (ض ع ن ت).

تختزن مجموعة النقوش المكتشفة حديثًا والمنشورة، وكذلك مجموعات غير منشورة معلومات معززة أو مضيفة لمعلومات جديدة في حقل البحث في "الصفويّات". فمن خلال عملي مع الدكتور فواز الخريشة رحمه الله منذ تسعينيّات القرن الماضي في جولات وأعمال ميدانيّة استكشافيّة لعشرات المواقع في البادية الأردنية وثقت أو رصدت مواقع عديدة للنقوش. هنالك العديد من المواقع التي فيها نقوش وتقع بالقرب من مصادر مياه؛ غدير الملاح، البرقع، ومناطق حول واحة الأزرق، والغدف، والعمري، وبعض فروع وادي السرحان القريبة للحد السعودي؛ فهذا الوادي المشهور باتساعه وكثرة آباره ووفرة مياهه والتي بقيت عبر السنين محط توافد الرعاة والقوافل للتزود بالماء. وقد ذكر بعض الرّحالة أثناء عبورهم المنطقة هذه الآبار التي يقع بعضها في السعوديّة وبعضها الآخر في الأردن، انظر مثلًا: (Euting 1896: 113 ff.; Carruthers 1910: 244).

النقوش الجديدة

لقد عُثر على كثير من النقوش في بعض المناطق التي تَمّ مسحها، لكن ما يُمكن الاستشهاد به من النقوش والتي تحوي ألفاظًا دالةً على الماء كما يأتي:

في محتوي النقش (بني عواد 1996، 135) (ل ت م.ب ن س ك ر ن ب ن ق د م وب ن ي ل ن هـ ب هـ ا خ ذ ت) قام كاتب النقش (ت م) ببناء إخاذة ل (ن هـ ب) وتأتي الشواهد الآتية التي تم توثيقها من منطقة الحصينيات حيث يرد الفعل (ب ن ي) في محتواها لتعزز ذلك. يُفيد محتوى النقوش الثلاثة بأنّ كاتبيها (ج/م هـ ر م) و(ف ل ط ت) و(غ ي ر ا ل) قد قاموا ببناء (ا خ ذ ت) إخاذة / خزان ماء لشخص يدعى (ب د ب ل)، فلهذه الشواهد النقشيّة قيمة في إظهار اهتمام البدوي بالإعدادات لتأمين مصادر المياه والتي يبدو من النص أنها مُلكية خاصة بشخص (ب د ب ل). يتضح من ذلك أنّ قدماء البدو في هذه المنطقة لا يتكلون على حظهم في الاعتماد على البرك والغدران المتشكلة طبيعيًا من مياه الأمطار ودعواتهم للآلهة لإنزال المطر فقط، بل سَعوا إلى بناء وانشاء حفائر التخزين على مسايل الأودية والمنخفضات، وحفر الآبار؛ ليتم استغلالها في أوقات حضورهم الموسمي للمنطقة.

النقش رقم 1 (**شكل 2**)

لْ ج/م هـ ر م ب ن م ل ك ب ن ج ر م ا ل
و ب ن ي ل ب د ب ل هـ ا خ ذ ت

النقش رقم 2 (**شكل 3**)

ل ف ل ط ت ب ن ت م و ب ن ي ل ب
د ب ل هـ ا خ ذ ت

النقش رقم 3 (**شكل 4، 5**)

ل غ ي ر ا ل ب ن ق ح ش و ب ن ي ل
ب د ب ل هـ ا خ ذ ت

الملاحظ أنّ أسماء الأعلام الواردة في هذه النقوش الثلاثة معروفة في "النقوش الصفويّة"، انظر (OCIANA)، إلاّ أنّ قراءة بداية النقش الأول غير مؤكدة، فالحرف الأول من الاسم غير واضح وقد يكون (ج) أو (م) فكلا الحرفين قد وَردا في موضع آخر في النقش بشكل واضح يختلف عن شكل هذا الحرف، فإذا تَمّت قراءة الاسم (م هـ ر م) فهو وارد في النقوش، انظر (OCIANA)، وإذا كان (ج هـ ر

2. النقش رقم 1.

3. النقش رقم 2.

4. النقش رقم 3.

5. النقش رقم 4.

م) فهو غير وارد في النقوش، غير أنّ الأسماء (ج هـ ر، ج هـ ر ت، ج هـ ر ن، ج هـ ر ا ل) واردة، انظر (OCIANA).

كذلك ورد الفعل (ب ن ي) في النقوش، انظر (OCIANA; Al-Jallad and Jaworska 2019: 61)

أمّا (هـ - ا خ ذ ت) فأنها تمثل "مصدر مياه"، انظر (OCIANA; Ababneh 2016: 220)، غير أنّه قد تُرجم بمعنى "القبر" (Al-Jallad and Jaworska 2019: 41). ففي اللغة العربيّة ومن الجذر (ا خ ذ) الإِخْذَة: ما حفرته كهيئة الحوض، الإِخاذَة: شيء كالغدير، الإخاذ بغير الهاء وهو مجتمع المياه شبيه بالغدير، انظر (اللسان، مادة أخذ). ومما يؤكد هذا المعنى محتوى النقش التالي (الصويركي 1999، 124) (ل ص ع د ب ن ت م ب ن س خ ر ب ن م ف ن ي و ع هـ د ل ب د ر ن ب هـ ا خ ذ ت ...) حيث عَهِدَ كاتب النقش (ص ع د) إلى (ب د ر ن) بالإخاذَة أي جعل مصدر الماء بعهدته وحمايته وحفظه.

الشاهد الآتي والذي وثق من منطقة ذياب ويفيد بأن كاتبه (ح م ي) قد قام بزيارة (م س ك) و(ن ص ر ا ل) ووَرد إلى مصدر مياه في (هـ - ح ج ر ت) وحزن على مائهم، ربما وجد مياههم عكرًا أو قد نَضب.

النقش رقم 4 (**شكل 6**)

- ل ح م ي و س ف ر ل م س ك و ن ص ر ا ل و و ر د هـ ح ج ر ت ف ف ر ق ع ل {ع} د هـ م

جميع أسماء الأعلام الواردة في النقش معروفة في مجموعة "النقوش الصفويّة"، انظر (OCIANA). من الملاحظ أنَّ شكل حرف (س) في الاسم (م س ك) يختلف عن شكل (س) الذي في الفعل (س ف ر)، قد يبدو للبعض أنَّه يُشبه أحد أشكال حرف (ظ) غير أنّ (م ظ ك) غير واردة.

الفعلان (س ف ر) "سَافر"، و (و ر د) "وَرَدَ" معروفان أيضًا (Al-Jallad and Jaworska 2019: 147, 141)

هـ - ح ج ر ت : اسم مكان قد ورد في "النقوش

6. النقش رقم 5.

الصفويّة"، انظر (OCIANA).

ف ر ق ع ل: ورد هذا الفعل (ف ر ق) في سياقات "نقوش صفويّة" بمعنى "فَرَقَ، عَزل"(Al-Jallad and Jaworska 2019: 70). من الملاحظ في هذا النقش أنّ الفعل قد جاء متعديًا بحرف الجر (ع ل) "على"، ففي اللغة العربيّة، فَرِقَ عَلَيْهِ يعني "أَشْفَقَ"، انظر (اللسان، مادة فرق). فهذا المعنى يناسب سياق النقش.

ع د - هـ م : يبدو أنّ شكل الحرف الأول (ع) في نصفه الأيسر اتساع وثخانة، ربما انحرفت يد الكاتب في استدارة الشكل فقام لضبطه بتثخين الجزء كي لا يلتبس بشكل حرف (و). وردت (ع د) في النقوش المنشورة، كما في النقش SIJ 997 (... و ش ر ب هـ ع د ب هـ ن ج م ...) لم يتم ترجمة الكلمة في مجموعة "... OCIANA ..." (?) ...، and drank غير أنّه تم ترجمته بالماء، انظر(Ababneh 2016: 218) . ففي اللغة العربيّة قال الأصمعي: الماءُ العِدُّ الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر، وجمع العِدِّ أعْدادٌ. وقيل: العِدُّ مياهُ الأرض الغزير. وقيل: العِدُّ ما نَبَعَ من الأرض (انظر اللسان: مادة عدد). ولا يزال مصطلح العِدُّ مستعملًا عند البدو حتى الوقت الحاضر للدلالة على مصدر المياه/ البئر.

ومما يضيفه البحث في هذا السياق هو إعادة تفسير بعض الشواهد التي يرد فيها (ب-ع د) والذي تم تفسيره جمعًا (ب ع د) فحرف (ب) هنا يُمثّل حرف جر ويفيد الظرفيّة المكانيّة. فالشواهد التي تم اعتبارها (ب ع د) وليست (ب-ع د) كما هي في النقش CSNS 756 (ل ع ص ص ب ن ن د ي ون ج ر ب

ع د هـ س ك ن)، حيث تم ترجمة (ب ع د) "بعيدًا" انظر (OCIANA). يدل السياق على أنّ كاتب النقش كان عَطِشًا عند (ع د) العِدّ أي مصدرالمياه الذي عنـد السكن/ النزل، ولربما كان العِدُّ جافًا فذكر الكاتب العطش الذي كان به.

كذلك في النقشين WH 599, 619.1 (... و ن ظ ر ب ع د هـ م س ر ت) فقط تم ترجمة (ب ع د) "behind" من قبل محرري (OCIANA) و "for" عند .Al-Jallad and Jaworska 2019:) 58) فالظاهر أنّه يمكن قراءتها (ب-ع د) وتفسير ذلك بأن كاتب النقش قد راقب عند مصدر ماء المعسكر/ المخيم.

وكذلك كما في النقش Rawan 2013, 250 (... و }ج{ ل س ب ع د هـ ا ب ل ...) حيث تُرجم كالآتي "and{he stopped briefly} for the sake of the camels" (OCIANA). يفيد الجزء الذي فيه (ع د) أنَّ كاتب النقش قد جلس عند مصدر المياه الذي تورد إليه الإبل، ولربما كان يُعرف هذا المصدر بعِدّ الإبل أي بئر الإبل.

الخاتمة

قدّم البحث عرضًا عن أهميّة المياه عند قدماء البدو (الصفويين) واهتمامهم بتأمين مصادره من خلال بناء الإعدادات الإنشائيّة؛ وذلك لتجميع وتخزين المياه، بدلالة ورود الفعل (ب ن ي) في النقوش، كذلك بيّن البحث دلالة ومعنى (ع د) في بعض الشواهد حيث تقابل العِدّ "مصدر ماء/ بئر". والبحث في شؤون البداوة العربيّة القديمة في شمال الجزيرة العربيّة من خلال المعلومات الواردة في النقوش، خاصة البحث عن الألفاظ المتعلقة بالمياه ومصادرها من أهم الموضوعات التي تستحق البحث والمناقشة المعتمدة على شواهد من مجموعات النقوش المكتشفة حديثًا والتي قد تعزز أو تنفي الآراء السابقة أو تعيد البحث في المعلومات الخلافيّة بين الباحثين.

الاختصارات

اللسان: ابن منظور، محمد بن مكرم. 1955- 1966

CSNS Clark, V. 1979
OCIANA Online Corpus of the Inscriptions of Ancient North Arabia http://krcfm.orient.ox.ac.uk/fmi/webd/ociana
SIJ Winnett, F.V. 1957
WH Winnett F.V. and Harding G.L. 1978

المراجع

ابن منظور، محمد بن مكرم. 1955- 1966. **لسان العرب**. 15 مجلد. دار صادر، بيروت.

الصويركي، محمد علي حسن. 1999. **دراسة نقوش صفوية جديدة من شمال وادي سارة في شمال الأردن**. رسالة ماجستيرغير منشورة. جامعة اليرموك، إربد.

بني عواد، عبد الرحمن حسن محسن. 1999. **دراسة نقوش صفوية من جنوب وادي ساره/ البادية الأردنيّة الشمالية**. رسالة ماجستيرغير منشورة. جامعة اليرموك، إربد.

طالب، عبدالله. (دونالد باول كول). 2020. **بدو البدو: حياة آل مرّة في الربع الخالي**، الطبعة الثانية. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت.

Ababneh, M.I. 2016. Wasserressourcen bei den safaitischen Nomaden anhand deren Inschriften. Pp. 215-239 in R. Voigt (Hrsg.), *Studies in Honour of Enno Littmann. Akten der III. Internationalen Enno-Littmann-Konferenz Berlin 2009, Studien zum Hörn von Afrika* 4. Rüdiger Köppe, Köln.

al-Jallad, A. and Jaworska, K. 2019. A Dictionary of the Safaitic Inscriptions, *Studies in Semitic Languages and Linguistics* 98. Brill, Leiden.

Carruthers, D. 1910. A Journey in North-Western Arabia. *The Geographical Journal* 35 (3): 225 245.

Clark, V. 1979. *A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan*, Unpublished PhD Dissertation, Department of Middle Eastern Studies. University of Melbourne.

Edgell, H.S. 2006. *Arabian Deserts, Nature, Origin and Evolution*. Springer, Dordrecht.

Euting, J. 1896: *Tagesbruch eine Reise in Inner-Arabian.* 1. Brill, Leiden.

Gebel, H.G.K. 2017. The Origins of Oasis Life in NW Arabia. A Model Based on the Qulban Beni Murra and Rajajil Case Study Regions, and the Need of Archaeohydrology as a Discipline for Studying Arabia's Past. Pp. 1-26 in W.Y.

Al-Tikriti and P. Yule. (eds.), *Proceedings of Water & Life in Arabia Conference*: 14th-16th December, 2014. Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, Abu Dhabi.

Kennedy, D. 1995. Water Supply and Use in the Southern Hauran, Jordan. *Journal of Field Archaeology* 22(3): 275-290.

Rawan, Sch. 2013. *Neue safaitische Inschriften aus Süd-Syrien* (Semitica et Semitohamitica Berolinensia 16). Shaker-Verlag, Aachen.

Rollefson, G. 2022. Standing Stones and Megalithic Architecture at Wisad Pools in Jordan's Black Desert. *Negev, Dead Sea and Arava Studies* 14(2-4): 108-120.

Winnett, F.V. 1957. *Safaitic Inscriptions from Jordan* (Near and Middle East Series 2). University of Toronto Press, Toronto.

Winnett F.V. and Harding G. L. 1978 *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns* (Near and Middle East Series 9). University of Toronto Press, Toronto.